الاستراتيجيات الحجاجية في خطاب الوزير ابن الفرات لمناظرة متى بن يونس

أ. يوسف بن أودينة
جامعة الدكتور يحيى فارس المدية- الجزائر-

الملخص:
يعد الحجاج من البحوث التداولية الحديثة فقد عُنيت به عديد الدراسات في الآونة الأخيرة وأضحى من أهم المواضيع التداولية لدراسة النصوص الأدبية.
وينطلق بحثنا هذا من مرجعية مفادها أن الحجاج أكثر ما يستعمل في المواقف الشفوية التي تكون فيها مقارعة الحجة بالحجة في سياق تداولي مباشر ويتجسد هذا أكثر وضوحا في المناظرات سواء الكلامية منها أو اللغوية أو الأدبية.
وسنحاول في هذا المقال الوقوف على الاستراتيجيات الحجاجية لمقدمة مناظرة السيرافي مع متّى بن يونس حيث كان الوزير ابن الفرات هو المحرض على المناظرة وساق حججا كثيرة لإقناع الحاضرين بمناظرة متّى بن يونس في المنطق، والذي تمخض في آخر الحوار عن انتداب أبي سعيد السيرافي لهذه المناظرة.
وقد رأينا أنه قد كانت هناك مناظرة من نوع آخر بين الوزير بن الفرات وأبي سعيد السيرافي انتهت بإقناع الوزير لأبي سعيد لخوض هذه المناظرة وقد استعمل فيها الطرفان قضايا حجاجية نحاول التطرق لها من خلال المقال التالي.

1- تعريف الحجاج

جاء في لسان العرب لابن منظور: «حاججته، أحاجه حجاجا ومحاجة، حتى حاججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. وحاجه محاجة وحجاجا، نازعه الحجة الدليل والبرهان»[1].
وفي الاصطلاح هناك عدة تعاريف للحجاج وسوف نقتصر على تعريف الحبيب أعراب حيث يقول « [الحجاج]بعد جوهري في اللغة ذاتها مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة إستراتيجية معينة تعمد إليها لغويا وعقليا، إما لإقناع أنفسنا وإما لإقناع غيرنا، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته، وهي تستمد خصوصيتها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا وتجريدا »[2]

فمن خلال التعريفين نرى أن ابن منظور قد جمع بين الحجاج والدليل والبرهان، واعتبرهم شيئا واحدا وربما يكون ذلك من باب التجوز، وإلا فإن الدليل أوسع من البرهان والحجاج، كما أن البرهان يختلف عن الحجاج إذ البرهان عقلي،

[1] أحمد ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، مادة (حجج) ص:228
[2] الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، إشراف حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن 2010، ص625.

والحجاج خطابي يعتمد على اللغة، وقد نص ابن منظور على أن الحجاج هو غلبة الخصم بالحجج الدامغة، وصاحب الدليل والبرهان هو المحاجج.

كما أن الحبيب أعراب اعتبر الحجاج لصيق باللغة فكل خطاب يحمل بعدا حجاجيا أو استراتيجية حجاجية وهو يقترب من تعريف ديكرو الذي اعتبر أن اللغة في حد ذاتها حجاج فهو قائم على اللغة نفسها بعض النظر عن استعمالها[1]

2- تعريف المناظرة:

المناظرة في اللغة مكونة من ثلاثة أحرف النون والظاء والراء وهي «بمعنى تأمل الشيء ومعاينته، ثم يتسع فيه فيقال: نظرت إلى الشيء إذا عاينته»[2]

وفي الاصطلاح يعرفها الجرجاني بقوله: « هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب»[3] كما يعرفها عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني بقوله: « المناظرة هي المحاورة بين فريقين حول موضوع ما لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدي ظهوره»[4] فمن خلال هذه التعريفات يتبين لنا أن المناظرة هي تباحث بين طرفين أو اتجاهين حول موضوع معين من أجل إظهار الصواب والانقياد للحق، ويكون هذا التباحث بتقديم الحجج من الجانبين ومن تكون حجته أقوى هو صاحب الفلج في المناظرة، وبهذا تعد المناظرة « أكثر مجالات التداول الإسلامي استعمالا للحجاج وارتباطا بمفهومه الحديث»[5] ونظرا لكون المناظرة تعتمد التناوب في الكلام وإبراز الحجج الذاتية ودحض حجج الغير في الوقت ذاته فهي تعتمد على سعة علم كبيرة ومعرفة بقواعد الحجاج واستراتيجياته كي تضيق الحصار على الخصم، أو استدراجه إلى المضمار الذي لا يحسن فيه الخصم الركض، وبهذا فهي تعتمد على آليات يجب توظيفها في المقام التناظري مما يؤدي إلى حسم النتيجة لصالح طرف على طرف آخر، وسنحاول الكشف عن الاستراتيجيات التي استعملها الوزير ابن الفرات حتى يقنع أبا سعيد السيرافي بمناظرة متّى في علم المنطق وكسر شوكته وتفنيد ما يدعو إليه.

3- العوامل الباعثة على المناظرة بين أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس.

إن المناظرة بين أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس تعكس ذلك الصراع بين الفكر الوافد – الفلسفة اليونانية- والفكر العربي الإسلامي،وقد كانت المناظرة بدعوى من الوزير بن الفرات، حيث خطب في جماعة الحاضرين في مجلسه والذي يحضره العلماء من كل صوب وقد احتوى المجلس إلى جانب أبي سعيد السيرافي ثلة من العلماء مثل قجامة بن

---

[1] ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي 2007 ، ص40

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1369هـ، ج5، مادة (نظر) ص.444

[3] الجرجاني، كتاب التعريفات، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت 2002، ص.184.

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط2، دار القلم دمشق، 1981، ص381.

[5] أحمد أتزكنرمت، الحجاج في المناظرة، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، إشراف حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن 2010، ص281.

جعفر والخالدي وابن الأخشاد والكتبي وغيرهم. فقال الوزير: « ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة متّى في حديث المنطق، فإنه يقول لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به»[1]، فهذه دعوة مباشرة من الوزير بن الفرات إلى مناظرة متّى بن يونس في حديث المنطق، وهو بذلك يضع موضوعا للمناظرة ويحدد أحد طرفيها ويسعى إلى إيجاد الطرف الثاني.

كما يتضح من قول الوزير بن الفرات السابق الذكر أنه قد ملّ من أحاديث متّى بن يونس عن المنطق، ومن القيمة التي وضعها له ومن الزخم والهالة التي أحاطه بها؛ حتى صار يدّعى أنه لا شيء إلا عِلم يونان، وهو الأمر الذي كان يؤرق الوزير بن الفرات طويلا دون أن يفصح عنه، لكنه رأى أن الوقت قد حان لكسر شوكة متّى وهذا قبل أن يستفحل أمره وينتشر علمه بين العامة والخاصة، لأنه يشكل خطرا على الأمة الإسلامية والعربية جمعاء.

كما يبدو جليا أن الوزير ابن الفرات كان على دراية بعلم المنطق، وهذا ربما استفاده من كلام متّى بن يونس، حيث كان متّى يفرض سلطانه على المجلس، وكان كلامه يدور حول المنطق وعلى مؤسسي علم المنطق من علماء اليونان، وكان كلام متّى بن يونس في بداياته مؤنسا للوزير والحاضرين لأنه يحدثهم بأشياء لم يكونوا على دراية بها وإلا ردوه من البداية، وقد كان لحديث متّى عن المنطق لذة في بادئ الأمر، لكن تعظيمه للمنطق وواضعه ولأهل اليونان على العموم وحطه من شأن العرب والعربية هو الذي أجج روح العداوة بينه وبين الحاضرين من العلماء، وفي مقدمتهم الوزير بن الفرات، وهو ما جعل الوزير يفكر جاهدا في إيجاد طريقة لكسر جناح متّى، ورد علم المنطق عليه بكل روح علمية بعيدا عن سلطان الوزارة والحكم.

كما يتضح من السياق العام لكلام الوزير ابن الفرات أنه كان يحضر مجلسه عدد كبير من أعلام ذلك العصر وفي مختلف العلوم، لذلك قال للحاضرين قبل قدوم متّى بن يونس عليهم:« ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة متّى في حديث المنطق»[2]. ثم بعد أن أحجم القوم وأطرقوا، قال لهم الوزير بن الفرات: « والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه»[3] فكلام الوزير كان قبل مقدم متّى بن يونس للمجلس، وإلا كان بإمكان متّى أن ينفي عن نفسه هذه التهمة، أو أن يتهرب من المناظرة لأول وهلة، بحجة أنها مكيدة من الوزير ولا طاقة له على معاداة الوزير، فهو رجل منطق ويعرف كيف يراوغ ويتخلص من هذا الشَّرك والموقف الصعب الذي يحاول الوزير إنزاله فيه، كما أن الوزير بن الفرات لما له من مكانة علمية وسياسية، لا يمكنه أن يعلن العداء لمتّى بن يونس على الملأ فهو وزير؛ وللوزارة هيبتها وقوانينها وخصوصياتها، وهو يعتبر ممثل للدولة الإسلامية بجميع طوائفها حتى أهل الذمة منهم على اعتبار أن متّى كان نصرانيا، وينبغي للوزير أن يكون موضوعيا محايدا، خاصة في مسائل العلم والثقافة، ومعروف أن عصره [أي الوزير] كان عصر الترجمة والانفتاح على الآخر، وعليه أن يترك الغلبة لصاحب الحجة والبرهان، وهذا ما حصل له بالفعل مع متّى، حيث لم يمنعه من دخول مجلسه والإدلاء بما لديه من علم بالمنطق والفلسفة؛ وإن كان الوزير قد اعتبره معاديا للدين، وهي حجة

[1] أبوحيان التوحيدي،: الإمتاع والمؤانسة، اعتنى به وراجعه، هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية صيدا بيروت 2011، ج1، ص، 90.
[2] نفسه ص.90
[3] نفسه ص.90

كبيرة ودامغة في منع متّى بن يونس من دخول مجلسه، أو حتى منعه من تعليم المنطق أو حبسه في بيته وهو الشيء الذي لم يحصل، فالوزير كان يريد أن يقطع متّى بسلطان العلم لا بسلطان المنصب.

وعلى العموم فقد وفر الوزير بن الفرات الجو الملائم للمناظرة وشحذ همم الحاضرين، وأكد لهم أن بإمكانهم رد متّى وكسر ما يذهب إليه من إعلائه للمنطق على جميع العلوم الأخرى، وقد أكد لهم أيضا أنه سيكون نصيرا لمن يناظر متّى بن يونس.

لكن القوم أطرقوا وأحجموا ولم ينطق منهم أحد ببنت شفا، إلا أبا سعيد السيرافي الذي اعتذر عن نفسه وعن جماعة الحاضرين، لكن ردّ السيرافي واعتذاره عن نفسه وعن الحاضرين في مجلس بن الفرات كان حجة عليه لا له، فقد أتاح هذا الاعتذار الفرصة للوزير أن ينتدبه لمناظرة متّى بن يونس، وقد اعتمد الوزير على شجاعة السيرافي في الاعتذار عن نفسه وأصحابه، واعتبر ذلك دليلا كافيا لقيام أبي سعيد بهذه المهمة فقال الوزير: «أنت لها أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك»[1]

فالوزير وجد المسوغ من جانبين، أولا في انتداب أحد الحاضرين لمناظرة متّى بن يونس، والثاني في اختيار أبي سعيد السيرافي لهذه المهمة دون غيره من العلماء لأن علمه وسرعة بداهته يؤهلانه لذلك، حيث قال له: «...فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك»[2] فهنا كان اعتذار السيرافي عن غيره دون تفويض مباشر منهم، لذلك قال الوزير اعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، فقدم الغير في الاعتذار وقدم النفس [أي السيرافي] في الانتصار، فقد جعل الوزير مهمة الانتصار في هذه المناظرة ترجع أولا إلى نفس أبي سعيد، وهذا لما يعلمه من كره أبي سعيد لكلام متّى، وأنه مناخ عن العربية وأهلها، ثم إن هذا الانتصار المرتقب سيعم جميع الحاضرين بفضل السيرافي وهذا من أجل وقوف الجماعة وراء أبي سعيد، وهي حجة ذات قيمة اجتماعية ساقها الوزير لدعم مرشحه لمناظرة متّى بن يونس فقال: «والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك»[3]

فقد جعل الوزير مهمة الانتصار في هذه المناظرة ترجع أولا لنفس أبي سعيد، ثم تتعدى ذلك إلى الحاضرين وفي مقدمتهم الوزير نفسه، وكلام الوزير يدل على أن الأمر جلل، فقد عبر عن ذلك بكلمة الانتصار وما تحمله من بعد دلالي يدل على أن هناك معركة قائمة ضد المنطق،فقد قال الوزير في نهاية المناظرة «عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكبادا، وأقررت عيونا، وبيضت وجوها، وحكت طرازا لا يبليه الزمان، ولا يتطرق إليه الحدثان»[4]كما أن جميع الحاضرين بالمجلس في أشد الشوق لهزيمة متّى بن يونس واستئصال شأفته حيث نجد أبا حيان يعبر عن ذلك على لسان راوى المناظرة علي بن عيسى بقوله «وتقوض المجلس وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد الثابت ولسانه المتصرف ووجهه

[1] نفسه ص.90

[2] نفسه ص.90

[3] نفسه ص.90

[4] نفسه ص.100.

المتهلل وفوائده المتتابعة»[1] ؛ وهو الذي تطاول عليهم بعلم المنطق، ولم يقدروا على مواجهته، أو لم يجدوا لكلامه ما يدحضه على الرغم من علمهم أنه ليس على صواب.

[1] نفسه ص.100.

4- تحليل النص التمهيدي لمناظرة أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس حجاجيا.

4-1 حجج اقناع الوزير للحاضرين.

إن القارئ للحوار الذي دار بين الوزير والحاضرين في مجلسه حين كان يدعوهم لمناظرة متى في حديث المنطق، يجد أن الوزير استعمل عديد الحجج لإقناعهم بالمناظرة، لأن الرهبة كانت تعتلي وجوهم والخوف من المواجهة يملأ قلوبهم فقد كان من الواجب على الوزير أن يستعمل حججا تبعث على الإقناع في خطابه من أجل استجلاء الأمر وانتداب أحد الحاضرين للمناظرة والتي كانت كالتالي:

استعمل الوزير في البداية حجة ممهدة تدعو إلى تأجيج روح القومية والاعتزاز بالنفس والقوم والعشيرة، وهذا بغية إستنهاض همم الحاضرين على مناظرة متّى فقال على لسان متّى: « [إنه] لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه»[1] نلاحظ أن الوزير عند تقديمه لكلام متّى عن المنطق، كان يهدف إلى إثارة القوم على متّى ونقض علم المنطق، وهذا من منطلق القومية، إذ إن متّى يعظم المنطق أكثر من اللازم ومن وراء ذلك اليونان والعجم على العرب، وهي حجة قومية اجتماعية صاغها الوزير على شكل تقديم لعلم المنطق وهو يهدف من وراء ذلك إلى إشعال نار النزعة القومية العربية ضد متّى ومن ورائه الأمة اليونانية.

والظاهر أن هذه الحجة القومية لم تؤتِ أكلها، فهي بحاجة إلى قوة داخلية تحركها وتعززها، فالقوم غير مقدمين لأنهم يعلمون أن الإقدام قتال، وهو من باب التهور وليس من الشجاعة في شيء، لذلك أطرقوا وأحجموا، فلما رأى الوزير ذلك منهم خاطبهم من داخل أنفسهم واستعمل القسم والمؤكد الحرفي فقال: «والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه»[2]. إن تعزيز الوزير لكلامه بالقسم وحرفا التوكيد "إن" و "اللام" يدل على أنه يدرك مدى خوف الحاضرين من المناظرة، والهيبة التي اعتلت محياهم، فعمد إلى القسم والتوكيد، وما يحملانه من دلالة حجاجية على أن الأمر لابد منه وأنه مقضي مسبقا من طرف الوزير وقد أعد العدة لذلك وما على الحاضرين إلا المضي فيه دون توانٍ، وهو الأمر الذي فهمه أبو سعيد السيرافي حين قال: «مخالفة الوزير فيما رسمه هجنة»[3] ثم أتبع الوزير كلامه مادحا الحاضرين ومؤججا روح الإقدام فيهم ومعززا ثقتهم بأنفسهم ورافعا من قدرهم ومكانتهم العلمية بقوله: «وإني لأعدكم في العلم بحارا، وللدين وأهله أنصارا وللحق وطلابه منارا»[4] فالوزير هنا رتب حججه ترتيبا تصاعديا من الأدنى إلى الأعلى، فهؤلاء القوم هم

[1] نفسه ص.90

[2] نفسه.ص90.

[3] نفسه ص.90.

[4] نفسه ص.90

من العلماء، بل من المتبحرين في العلم، بالإضافة إلى أنهم أهل دين، ومن المدافعين الذائدين عن حما هذا الدين، كما أنهم بالإضافة إلى كل ذلك ينشدون الحق وينصرونه أين ما كان وعلى يد من ظهر فهم منارات الحق وأعلامه، فالصفة الأولى ذاتية شخصية، والصفتان الأخيرتان نفعهم يتعدى إلى الغير ويعزز الصفة الأولى، فهم ينصرون الدين وهو من الواجبات المنوطة بكل فرد مسلم، بل ينصرون الحق وأهله حيث كانوا وأين ما وجدوا وهو من مقومات المروءة والشجاعة.

تمثيل حجج الوزير:

المعطي: متّى فيما يدعيه على باطل.

الحجة1: هؤلاء القوم أهل علم؛ بل من المتبحرين فيه.

الحجة2: هؤلاء القوم ينصرون الدين.

الحجة3: هؤلاء القوم ينصرون الحق.

النتيجة: هؤلاء القوم بإمكانهم مناظرة متى وكسر ما يذهب اليه.

ترتيب الحجج في السلم الحجاجي:

نتيجة: إمكانية مناظرة متّى.

ح3. أنتم تناصرون الحق.

ح2. أنتم تناصرون الدين.

ح1.أنتم متبحرون في علم

2-4 **العلاقات الحجاجية في خطاب الوزير.**

يحتوي خطاب الوزير على علاقات حجاجية يمكن أن نوجزها كالآتي:

علاقة التتابع:

إن لعلاقة التتابع دور كبير في العملية الحجاجية فهي ترصد مدى بنية الحجج وتماسكها وتتابعها لتؤدي إلى نتيجة مؤداها إقناع الغير برؤية معينة أو توصيل فكرة إلى المتلقى وحمله عليها، فنلاحظ أن الوزير ابن الفرات كان هدفه انتداب شخص لمناظرة متّى بن يونس، وهو ما حصل في آخر المطاف رغم ما وقع من مد وجزر بينه وبين السيرافي حول التصدي لمناظرة متّى.

فنجد أن الوزير قد عمد إلى إظهار متّى بالشخص المتهم المشنع به وهي الحجة التي انطلق منها الوزير لحث الحاضرين للإقدام على المناظرة لأنهم يناظرون شخصا غير مرغوب فيه لدي الوزير، ثم عمد إلى بيان قدرة العلماء على دحض ما يذهب إليه متّى فعدد صفاتهم وقدراتهم العلمية.

إن تتابع هذه الحجج من حجة إنزال الخصم بمنزلة الشخص غير المرغوب فيه، المشنع به المحتقر لأمة العرب الرافع من قيمة المنطق وأهل اليونان، إلى حجة الإعلاء من شأن العلماء الحاضرين بالمجلس وقدرتهم العلمية والمعرفية لدحض ما

يذهب إليه متّى، إلى ردّ حجج أبي سعيد في الاعتذار عن نفسه ورهطه، كل ذلك أتى أكله في نهاية المطاف وانبرى أبو سعيد لمناظرة متّى فقال:« مخالفة الوزير فيما رسمه هجنة والتقصير عن رأيه إخلاد إلى التقصير»[1]

3-4 حجج أبي سعيد السيرافي

إن استعمال الوزير لكل هذه الحجج القومية والذاتية والنفسية، وجد غايته في نهاية المطاف حيث نطق أحد الحاضرين؛ وهو أبو سعيد السيرافي معتذرا عن الرهط الذين هم بالمجلس بقوله: «اعذِر أيها الوزير»[2] ونجد أن أبا سعيد استعمل فعل الأمر "اعذِر" وهو يدل على طلب الإعفاء من هذه المهمة الصعبة، ورجاء أن يجد طلبه هذا القبول عند الوزير، ثم أتبعه بحجج مرتبة ترتيبا تصاعديا حسب ما يعتري المناظر أو الخطيب حال تصدره للمناظرة أو الخطبة، فقال تتمة لما سبق: «فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المعروض في هذا المجلس، على الأسماع المصيخة، والعيون المحدقة، والعقول الحادة، والألباب الناقدة.»[3] فقد صاغ السيرافي حجته في عدم المناظرة لأن ذلك يقتضي رباطة جأش وقوة عزيمة، وأن الموقف يختلف؛ فليس كل من أوتي علما كان قادرا على المناظرة، وهذا لأن هناك أسماعا مُصخية، وعيونا محدقة، وعقولا حادة، وألبابا ناقدة، فمن أين يسلم من يقوم خطيبا أو مناظرا في مثل هذه المجالس، والجميع متأهبون لسماعه، منشدون لما يقوله، واقفون على كل خطأ يصدر منه بالنقد، وقد ساق السيرافي هذه الحجج مرتبة ترتيبا فيزيائيا لحالة الصوت منذ خروجه من الفم وحتى وصوله للقلب، فقدم الأسماع إذ أن أول ما يستقبل الكلام هو الأذن، ثم تحدق العين إلى مصدر الصوت، ثم يتبع ذلك دخول الكلام إلى الدماغ كي يحلله بعملية مركبة ومعقدة ثم يستقر في الفؤاد، الذي يقوم بتقييمه وتصنيفه وإبداء الرأي حوله ثم الرد عليه، لأن الكلام مجموع كله في الفؤاد وجعل اللسان على الفؤاد دليلا.

ترتيب حجج السيرافي.

حجة1: القوم لهم أذآن مصيخة.

حجة2: القوم لهم أعين حاذقة.

حجة3: القوم لهم عقول حادة.

حجة4: القوم لهم قلوب ناقدة.

النتيجة: لا يمكن مناظرة متّى خصوصا في هذا المجلس.

---

[1] نفسه ص.90

[2] نفسه ص.90

[3] نفسه ص.90

السلم الحجاجي:

ثم أردف السيرافي حججا أخرى لإعفائه ورهطه من المناظرة، وهي الحالة المقامية للمناظر أو المخاطِب، بعد أن استعرض الحالة المقامية للمتلقي أو المخاطَب، فقال:« لأن هذا يستصحب الهيبة، والهيبة مكسرة، ويجتلب الحياء، والحياء مغلبة وليس البراز في معركة خاصة كالمصاع في بقعة عامة »[1] فنجد هنا أبا سعيد يعزز حججه السابقة بحجج أخرى، وهي مكسرة الهيبة، وغلبة الحياء، وهذا كله من أجل أن يجد لنفسه وجماعته مبررا لدي الوزير لإعفائهم من المناظرة.

وعليه وبالاستناد لأقوال أبي سعيد السيرافي في كل ما سبق، وسرده لهذا الكم الهائل من الحجج المتنوعة نجد أنه استعمل ما يعرف بالحجاج التراكمي، الذي «[هو تنوع للحجج] وتكون كل حجة هي الأقوى اللحظة التي تستعمل فيها وفي الموقع الذي ترد فيه»[2] حيث يسوق المتكلم عديد الحجج من أجل أن يجد لنفسه مسوغا عند المستمع فيقبل دعواه.

بعد سوق أبي سعيد لكل هذه الحجج، من أجل أن يجد له مسوغا، ولبقية الحاضرين لإعفاء الوزير لهم من المناظرة، نجد أن الوزير قلب الموازين على أبي سعيد السيرافي لتكون جميع حججه عليه لا له، إذ أن الوزير وجد المسوغ في كلام أبي سعيد لينتدبه لمناظرة متّى فقال: « أنت لها أبا سعيد»[3] فنجد هنا أن الوزير قد وجد ضالته باكتمال ضلع المثلث الثالث في المناظرة – الحكم وطرفا المناظرة - وعمد الوزير إلى استعمال حجة قيمية كما يقول بيرلمان، وهي الرفع من قيمة السيرافي بمناداته بكنيته، وهو ما يرفع مكانته وقيمته في عين الوزير وفي أعين الحاضرين، وبهذا يكون الوزير قد لعب على الوتر النفسي لأبي سعيد، وهو الزيادة من حماسه والرفع من معنوياته مع أمره بمناظرة متّى، وهو الشيء الذي اختفى تحت صيغة التودد فلم يتجلَّ الأمر في صورة صريحة، بل كان ضمنيا مصحوبا بلطف في المأخذ، وهو الأمر الذي يسميه

[1] نفسه ص.90

[2] عبد العالي قادا، حجاجية الترتيب والإستراتيجية الحجاجية في رسالة ابن عبد البر على لسان أهل بربشتر، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للحطاب (بحوث محكمة) ، إشراف وتقديم أحمد قادم وسعد العوادي، ط1، كنوز المعرفة 2016 عمان الأردن، ص: 434

[3] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص:90.

بول غرايس بمبدأ التعاون بين المتخاطبين حيث يقول:« اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة للموضوع»[1] ، وتسميه روبين لاكوف مبدأ التودد في الطلب «حيث يجب على المخاطِب أن يتحرز قدر الإمكان من استعمال الطلب المباشر والخاص»[2] بينما تتأسس هذه القاعدة عند طه عبد الرحمان على « النظر إلى المخاطب من منطلق المعاملة بالمثل، مستعملا في ذلك الأدوات والأساليب التي تقوي علاقات التضامن والصداقة بينهما، ليحصل أنس المخاطب به»[3]

وهذا ما نجده عند الوزير بن الفرات، الذي لم يجعل لمكان الوزارة والسلطة اعتبارا، وخاطب السيرافي من نفس الموقع الاجتماعي، وهو الشيء الذي يجد صداه عند المتلقي، الذي لبى الدعوة إلى المناظرة بعد أن أبدى تخوفه من ذلك بادئ الأمر.

بعد هذه التزكية من الوزير لأبي سعيد، والرفع من شأنه أمام ثلة من العلماء، نجد أن نغمة الكلام عند أبي سعيد قد تغيرت من الرفض إلى القبول ومن الخوف إلى الإقدام، وكأن به كان ينتظر تلك التزكية فقط، وأنه أعد العدة مسبقا فقال: « مخالفة الوزير فيما رسمه هجنة، والاحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير، ونعوذ بالله من زلة القدم وإياه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلم»[4]

4-4 الروابط والعوامل الحجاجية :

إن اللغة العربية لغة تواصلية فهي تحوي الكثير من الحروف والأدوات التي تربط بين الجمل أو التي تربط بين السبب والنتيجة، وللحروف أو الروابط اللغوية كما يسميها ديكرو وظيفة حجاجية كبري في الخطاب والمناظرة وفي جميع أصناف النصوص، إذ إن « اللغات الطبيعية اشتملت على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا؛ تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية»[5]

ففي المقطع الافتتاحي لمناظرة السيرافي ومتّى؛ وحيث كان الوزير يحاول إقناع الحاضرين بمناظرة متّى، وفي ردّ السيرافي على الوزير من أجل ايجاد العذر له، ولبقية العلماء في المجلس، نجد توظيفا للروابط اللغوية من أجل بلوغ غاية حجاجيه، وسنقف على توظيف الروابط الحجاجية كالتالي:

الرابط الحجاجي :ألا

ورد في معجم مختار الصحاح « ألا،حرف يفتتح به الكلام للتنبيه» فقد استعمل الوزير هذا الحرف دون غيره من الحروف أو الأفعال لغرض ايصال رسالة للعلماء الحاضرين بمجلسه وتنبيههم إلى غفلة ما يدور حولهم من تعظيم متّى لعلم المنطق ولأهل اليونان على العرب وعلومهم، وهو يقصد من وراء ذلك ايقاظ هممهم وتنبيه عقولهم وقلوبهم وتحفيز نفوسهم لنصرة لغتهم وقوميتهم

الرابط الحجاجي حرف الفاء

---

[1] Voir : Grice, Logique et conversation, p . 60

[2] عبد الرزاق بلعقروز، تحولات في الفكر الفلسفي المعاصر، المعنى والتواصل، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر 2005، ص، 248

[3] طه عبد الرحمان . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . ص 238 . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط1 / 1989

[4] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 90

[5] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص26.

كما نجد توظيفا لحرف الفاء في عدة مواضع «...فرفع أبو سعيد رأسه فقال (...) فقال ابن الفرات (...) فقال أبو سعيد...»[1] هو يدل على جدية الحوار بين الوزير وأبي سعيد السيرافي فمن وظائف حرف الفاء الترتيب وانعدام الفارق الزمني، وهو يقرب الصورة للمتلقى حيث تجلى ذلك الحوار بين الوزير والسيرافي دون انقطاع أو تمهل، وكانت الحجة تقارع الحجة، فنجد حجج الوزير في واجب التصدي لمتّى لأنه يشكل خطرا على العرب والدين وأنه ألبس الحق بالباطل، وحجج السيرافي في إيجاد عذر في الإعفاء من المناظرة، لأن الأمر على قدر من الصعوبة بمكان، وأن البراز في معركة خاصة ليس كالبراز في بقعة عامة.

الرابط الحجاجي لأن:

يعد الرابط الحجاجي لأن من أهم ألفاظ التعليل وهو يستعمل لتبرير الفعل وقد استعمل السيرافي هذا الرابط ليبرر سبب رفضه لمناظرة متّى فقال:« اعذر أيها الوزير (...) **لأن** هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة،... »[2]، فربط بين النتيجة وهي الإعفاء من المناظرة والحجة وهي مكسرة الهيبة والحياء.

العامل الحجاجي: لا....إلا

يقول الوزير على لسان متّى: « **لا** سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين **إلا** بما حويناه من المنطق »[3] فنجد أن العامل الحجاجي (لا...إلا) قد حصر سبيل المعرفة والعلم وقيده في علم المنطق فلا علم ولا معرفة إلا بالمنطق.

لا معرفة **إلا** بالمنطق ⟵ المنطق هو المعرفة

خاتمة

يمكن أن نقول في نهاية هذا المقال أن خطاب الوزير المحرض على مناظرة متّى قد حمل عدة استراتيجيات حجاجية تدعوا إلى إقناع هؤلاء العلماء بالقيام بمناظرة متّى في حديث المنطق وكسر ما يذهب إليه من إعلاءٍ من شأن المنطق و أهل اليونان وهو الأمر الذي تمخض عنه انتداب أبي سعيد السيرافي لهذه المهمة ولكن بعد رفض في بداية الأمر ثم تسليم وإقتناع بحجج الوزير، وهو الأمر الذي يعكس بلاغة الحجاج الإقناعية في تمهيد السبيل ورؤية الأمور من زاوية مختلفة ترأب الصدع وتوحد الصفوف.

---

[1] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 90

[2] نفسه ص.90.

[3] نفسه ص.90.